# نازك الملائكة و«الآداب»

الدكتور سهيل ادريس

لعلّ نازك الملائكة هي العمود الأساس في بناء مجلّة الآداب.

فهي قد أسهمت في إقامة مداميكها منذ عددها الأوّل الذي صدر في كانون الثاني ١٩٥٣ بقصيدة «الأعداء»، فكانت إطلالتها إطلالة شاعرة مبدعة تقف في الصفّ الأوّل من روّاد القصيدة العربيّة الحديثة.

ثمّ أطلّت نازك الملائكة في العدد الثالث من العام نفسه ناقدةً متميّزة جعلت باب «قرأت العدد الماضي من الآداب» مطابقاً للغاية التي استحدثناه من أجلها، وهي محاولة تقييم آثار الكتّاب تقييماً موضوعيّاً يبتغي تبصيرهم بمزايا هذه الآثار ونقائصها في آن معاً. ومن طريف هذا الإسهام أنّ «نازك» قصرته على نقد الشّعر على سبيل الانتقام والتعويض من رئيف خوري الذي كان قد قصر مقاله في العدد السابق على نقد النثر، وقالت معلّقة على «العصبيّة» الشّعريّة التي انتابتها: «فآليت أن أملأ ثلاث صفحات دون إشارة واحدة إلى المقالات... ولا أظنّ في ذلك إجحافاً، فيوم علينا ويومٌ لنا!»

وفي العام التالي ١٩٥٤، أطلّت نازك الملائكة باحثة اجتماعيّة في واحدة من أهمّ دراسات ذلك العام «التّجزيئيّة في المجتمع العربي»، وفي بحثٍ معمّق عن «الشّعر والموت»، إلى قصائد مختلفة أجمع النقّاد والدارسون على أنّها تظلّ في روائع شعرنا العربيّ الحديث.

وبعد عامين، فاجأت نازك الملائكة قرّاء **الآداب** بدخولها ميداناً آخر لم تدخله من قبل، هو ميدان القصّة. فكانت «ياسمين» قصّة تعالج من قضايا الحياة «ألصقها بالعاطفة الإنسانيّة الخالدة في قلقها وتبرّمها ونبلها» كما قلتُ في تعليقي على هذه القصّة، مؤكّداً أنَّ «الإبداع قلّما يخطئ سبيله، إلى أيّة جهة اتّجه... ذلك أنَّ مقوّماته واحدة، في مختلف ألوان الأدب، لأنّها ترتكز قبل كلّ شيء على أصالة الإحساس بالحياة؛ ومن كان يملك هذه الأصالة لن يعجزه خلق القالب الذي يصبّها فيه».

وفي عام ١٩٥٩ نشرت **الآداب** قصّة مذهلة لنازك بعنوان «منحدر التل» وصفتُها قائلاً «لعلّ هذه أروع ما أنتجه الأدب العربيّ الحديث من قصص في تصوير مأساة التشرّد التي عاناها الشّعب العربيّ في فلسطين».

والحقّ أنَّ اهتمام نازك الملائكة بمأساة الشعب الفلسطينيّ هو جزء من موقفها الملتزم بقضايا الفكر القوميّ ومشاركتها في معالجة الهموم الوطنيّة بشكل عام. وقد نشرت **الآداب** عدداً من مقالاتها الموقفيّة: «تحيّة للجمهوريّة العراقيّة»، «في ذكرى الثورتين العراقيّة واللبنانيّة»، «القوميّة العربيّة والحياة»، «القوميّة العربيّة والمشكّكون»، «محاذير في ترجمة الفكر الغربيّ»، «الأدب والغزو الفكري» إلخ... وكلّها تعبير صريح عن التزامها بالمبادئ القوميّة العربيّة وإيمانها بترابط قضايا الأمّة الكبرى[1].

أمّا دراساتها الأدبيّة، فقد تركّزت على قضايا الشّعر العربيّ الحديث وتبنّيها المبدئيّ للقصيدة الجديدة القائمة على التفعيلة، وإن كانت قد عدّلت في بعض نظرياتها النقديّة فيما بعد.

ولها دراستان هامّتان نُشرتا عام ١٩٥٨ في هذه المجلّة، أولاهما «العروض والشّعر الحرّ» و«الجذور الاجتماعيّة للشّعر الحرّ». وثمّة دراسة مميّزة ثالثة في «نقد القصيدة المدوّرة في الشّعر العربي الحديث».

وقد اهتمت نازك، إلى هذا كلّه، بدارسة بعض الآثار الأدبيّة الحديثة، العربيّة والأجنبيّة، دراسة تشي بسعة ثقافتها وعمق تحليلها. ولعلّ دراستها لروايتي **الخندق الغميق** من أعمق البحوث وأبرعها في اكتشاف الدّلالات والرّموز. وكذلك القول في دراستها لـ **الأيدي القذرة** لسارتر ومسرحيتيْ توفيق الحكيم **السلطان الحائر** و**يا طالع الشجرة**.

* * *

لقد رافقت نازك الملائكة مجلّة **الآداب** طوال مسيرتها، لم تنقطع عنها إلاّ في ظروف قاهرة انتهت بملازمتها الفراشَ منذ سنوات وتوقّفها عن الإبداع؛ وهذا ما يورث في صدورنا الحزن والأسف، لأنّه يحجب عن القارئ العربي إنتاجاً رائعاً لقلمٍ يُعدّ في طليعة الأقلام العربيّة المعاصرة التي شاركت أكبر المشاركة في إقامة صرح الأدب العربيّ الحديث.

و**الآداب**، حين تخصّص معظم صفحات هذا العدد لنازك الملائكة، فإنّما تردّ لها بعض فضلها على المجلّة وعلى المعجبين الكثر من قرّاء أدبها الرائع.

تحيّة عميقة مخلصة لنازك الملائكة وهي على فراش المرض، ودعوة حارّة من أجل استردادها العافية وعودتها إلى دنيا الخلق والإبداع.

(١) نشير هنا إلى قصّة أخرى لنازك تلتزم فيها تصوير نضال الشّعب العراقي ضدّ نظام نوري السّعيد هي قصّة «قناديل لمندلي المقتولة» الآداب العدد ١٢ عام ١٩٧٨».